حُكْمُ الاسْتِغَاثَةِ بالنَّبِيِّ ﷺ

إعداد :

د. محمد بن عبد الله مختار

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد فإن من الأمور التي وقع فيها الاختلاف حكمَ الاستغاثةِ بالنبي ﷺ وبغيره من الصالحين الموتى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ فمن الناس من ذهب إلى حِلِّها بل واستحبها وزعم أنها من أعظم القرب إلى الله تعالى وأَلَّف في تقريرها كالبكري الذي كفر شيخ الإسلام ابن تيمية وردّ عليه، وكالنبهاني الذي ألف شواهد الحق في الاستغاثة بسيِّد الخلق، وكالسُّبكي الذي ألف كتابه الموسوم (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) وغيرِهم. ومن أهل العلم من ذهب إلى ردِّها وإبطالها. فرأيت الإسهام في توضيح هذه

المسألة وبيان وجه الحق فيها.

ومن أبرز الكتب التي ألفت في هذه المسألة كتاب شيخ الإسلام الاستغاثة في الرد على البكري، وهو من أميز الكتب التي تناولت هذه المسألة فيما أحسب. ولأهمية هذا الكتاب ومكانته العلمية قام الحافظ ابن كثير بتلخيصه وترتيبه كما اعتنى الباحثون بتحقيقه.

أهمية الموضوع: إن دراسة موضوع الاستغاثة بالنبي ﷺ وبيان حكمها من أهم مباحث الدين ومطالبه وذلك لتعلُّق هذه المسألة بأصل الدين وأساسه الأعظم توحيد الله تعالى في ألوهيته الذي جاءت بدعوة الناس إليه جميع المرسلين كما قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾**﴾ [سورة الأنبياء الآية:٢٥] وقال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ** ﴾ [سورة النحل، الآية: ٣٦].

خطة البحث: جعلت البحث في مقدمة وثلاثة مطالب.

المقدمة وتشتمل على خطبة الحاجة، وأهمية الموضوع وخطة البحث.

المطلب الأول: تعريف الاستغاثة لغة واصطلاحاً والفرق بينها وبين الدعاء.

المطلب الثاني: حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ.

المطلب الثالث: شبهات المخالفين.

والله المسئول أن ينفع به كما نفع بجهود علمائنا في هذه المسألة وأن يجعل عملي فيه خالصاً لوجهه الكريم.

وكتبه: محمد عبد الله مختار.

حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاستغاثة لغة واصطلاحاً والفرق بينها وبين الدعاء.

الاستغاثة في اللغة طلب الغوث، وهو: إزالة الشدة؛ كالاستنصار طلب النصرة (١).

وقيل: نداءُ من يخلِّص من شدة أو يُعِين على دفع بليةٍ(٢).

فالاستغاثة إذاً طلب مقرون بالنداء، وذلك نوع من الدعاء ولكن دعاء خاص وهو لإزالة الشدة، وذلك لأن الدعاء يكون في أحوال متغايرة إما لإزالة شدة واقعة بالعبد وإما طلب خلي من الشدة كالدعاء في حال الرخاء. فالدعاء إذاً أعم من كونه لإزالة الشدائد، وبذلك يتبين الفرق بين الدعاء والاستغاثة وهو في العموم والخصوص، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة.

إذا تقرر هذا فإن طلب الغوث يكون في جلب الخير كما يكون في دفع الضير، لأنه منوط برفع الشدة الواقعة بالعبد، وهي تحصل بفقد المرغوب وبعدم دفع المخوف.

---

(١) انظر: تاج العروس (٥/ ٣١٤)، وتلخيص الاستغاثة (١/ ١٦٢)، ومجموع الفتاوى (١/ ١٠٣ ـ ١٠٥).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٦٦٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ((وهذا غاية ما يدعو به الإنسان من جلب الخيرات ودفع المضرات؛ فإن الدعاء فيه تحصيل المطلوب واندفاع المرهوب)) [١].

المطلب الثاني: حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ.

الاستغاثة بشخص النبيِّ الكريم ﷺ لا تخلو: إما أن تكون في حياته أو تكون بعد مماته فإن كانت في حياته فهي جائزة فيما يقدر عليه بطبع بشريته[٢] عليه الصلاة والسلام كالاستنصار به لدفع عدوٍ ونحوه. ومحرمة إذا كانت فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

أو بعد مماته فإنها محرمة مطلقاً فيما كان قادراً عليه في حياته أو كان مما لا يقدر عليه في حياته. وذلك لأن الموت عجز عن الفعل مطلقاً، ولأن التكليف قد انقطع عنهم[٣].

والأدلة الدالة على تقرير هذا الأصل كثيرة؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ **قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾** ﴾ [سورة الإسراء: الآيتان ٥٦ ـ ٥٧]، وقوله: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٠) وانظر: تلخيص الاستغاثة ص: ٢٨٦.

(٢) أي بطبع القوة المحدودة والتي يشارك النبي ﷺ فيها غيره من البشر.

(٣) كما لو سألهم الدعاء.

وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة النمل: الآية ٦٢]، وقوله في شأن الموتى والغائبين: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة فاطر، الآية: ١٤]، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الأحقاف: الآيتان: ٥ ـ ٦].

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- شارحاً لهذه الآيات ومقرراً ما تقدم: ((وذلك أن المخلوق يطلب من المخلوق ما يقدر المخلوق عليه، والمخلوق قادر على دعاء الله ومسألته، فلهذا كان طلب الدعاء جائزاً كما يطلب منه الإعانة بما يقدر عليه، والأفعال التي يقدر عليها. فأما ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يجوز أن يطلب إلا من الله سبحانه، لا يطلب ذلك لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من غيرهم، ولا يجوز أن يقال لغير الله: اغفر لي، واسقنا الغيث، وانصرنا على القوم الكافرين، أو اهدِ قلوبنا، ونحو ذلك. ولهذا روى الطبراني في معجمه أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذى المؤمنين فقال الصديق: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فجاءوا إليه فقال: «إنه لا يُستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»[(١)] وهذا في

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣١٧ لكن بغير هذا اللفظ. وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ٣٨٧، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح

الاستعانة مثل ذلك. فأما ما يقدر عليه البشر فليس من هذا الباب وقد قال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٩]، وفي دعاء موسى عليه السلام: ((**اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وإليك المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك**))(١) وقال أبو يزيد البسطامي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق. وقال أبو عبد الله القرشي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون. وقال تعالى: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الإسراء: الآيتان ٥٦ ـ ٥٧].

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء فقال الله تعالى: هؤلاء الذين تدعونهم هم عبادي كما أنتم عبادي، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي، ويتقربون إليَّ كما تتقربون إليَّ، فنهى سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء مع إخباره لنا أن الملائكة يدعون لنا ويستغفرون، ومع هذا فليس لنا أن نطلب ذلك منهم. وكذلك الأنبياء والصالحون وإن كانوا أحياء في قبورهم، وإن قدر أنهم يدعون للأحياء، وإن

غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣/٣٥٦ برقم (٣٣٩٤) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٨٣.

وردت به آثار فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك ولم يفعل ذلك أحد من السلف، لأن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم وعبادتهم من دون الله تعالى بخلاف الطلب من أحدهم في حياته فإنه لا يفضي إلى الشرك، ولأن ما تفعله الملائكة ويفعله الأنبياء والصالحون بعد الموت هو بالأمر الكوني، فلا يؤثر فيه سؤال السائلين بخلاف سؤال أحدهم في حياته فإنه يشرع إجابة السائل، وبعد الموت انقطع التكليف عنهم))[١].

المطلب الثالث: الشبهات.

هناك بعض الشبهات التي يتعلق بها من يجيز الاستغاثة بشخصه الكريم ﷺ فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، وهذه الشبهات على أربعة أنواع:

النوع الأول: شبهات لغوية ومردها إلى الخلط بين معنى التوسل والدعاء.

النوع الثاني: الجهل بأن الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله نوع من العبادة لغير الله. وهذه في الواقع ليست شبهةً ولكن دَرْجها في الشبه لملاحظة الاشتباه في معنى العبادة وتحقيق معنى كلمة "الإله".

النوع الثالث: أحاديث موضوعة أو ضعيفة أو صحيحة يتأولونها على غير وجهها يستندون عليها في تجويز الاستغاثة بغير الله كحديث: ((**لو حسَّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه**))[٢]، وحديث: ((**إذا أعيتكم الأمور**

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣١).

(٢) سيأتي تخريجه والكلام عليه في موضعه.

فعليكم بأصحاب القبور)) [١] وحديث: **((إذا أضل أحدكم شيئاً، أو أراد أحدكم عوناً، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عباداً لا نراهم»**[٢]**، وحديث الأعمى وفيه: «يا محمد يا نبي الرحمة إني...))** [٣].

النوع الرابع: حكايات ومنامات وقصص بعيدة واهيات أو حصل فيها المقصود فتنة وابتلاء؛ كقول القائل: استغاث فلان بالقبر الفلاني، فتخلّص من شدته، ونحو ذلك مما يروج له سُدَّان القبور الداعون لعبادتها.

وأما تفصيل هذه الشبه والرد عليها فهو كما يلي:

الشبهة الأولى: يزعم بعض من يجيز الاستغاثة به ﷺ أو بغيره من الصالحين أن ذلك نوع من التوسل وليس بدعاءٍ حقيقة، لأن الدعاء طلب منه مباشرة ونحن لا نطلب إلا من الله ولكن هو وسيلتنا إلى الله ﷻ، ولكن بعض العامة لا تُحسِن العبارة فتسأله مباشرة وهي تريد معنى التوسل. وهذه الشبهة نقلها عنهم صاحب كتاب معارج الألباب في مناهج الحق والصواب[٤].

ويستدلون عليها بالأحاديث الواردة في التوسل بدعاء النبي ﷺ

---

(١) سيأتي تخريجه والكلام عليه في موضعه.
(٢) سيأتي تخريجه والكلام عليه في موضعه.
(٣) سيأتي تخريجه والكلام عليه في موضعه.
(٤) انظر: معارج الألباب ٢/ ٦٠٢ ـ ٦٠٤ بتحقيقي.

كحديث عمر في الصحيح[١]: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا اليوم نتوسل إليك بعم نبيك فأسقنا، وحديث توسل أصحاب الغار بأعمالهم الصالحة[٢]، وحديث توسل الأعمى بالنبي ﷺ[٣] وغير ذلك من الأحاديث الدالة على جواز التوسل بالنبي ﷺ حال حياته[٤].

والجواب: أن المتقرر عند أهل العلم أن الألفاظ قوالب المعاني وأن اللفظ هو الطريق إلى معرفة المعنى المراد، وأما النظر إلى النيات والقصود فهو أمر أجنبي خارج عن ظاهر اللفظ، ولو أهملنا الألفاظ ونظرنا إلى المعاني لتعطلت كثير من الأحكام؛ فإن الله تعالى تعبدنا بالألفاظ كما تعبدنا بالمعاني، وقد عاب على المشركين أنهم أرادوا معانيَ صحيحةً في ظاهرها بألفاظ باطلة وسمى صنيعهم ذلك شركاً[٥].

---

(١) البخاري في كتاب الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (جـ٢/ ٢٠) برقم (١٠١٠).

(٢) حديث توسل أصحاب الغار بأعمالهم الصالحة أخرجه البخاري في كتاب الإجارة من صحيحة ٢/ ٧٩٣ باب من استأجر أجيراً فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره فاستفضل.

(٣) وسيأتي تخريجه في موضعه.

(٤) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ٢/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣ بتحقيقي، وانظر: جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام والتوسل بجاه خير الأنام عليه الصلاة ص: ٨٣ ـ ٨٩ بتحقيق: الأخ عبد الرحمن السلطان.

(٥) المعنى الصحيح هنا هو التقرب إلى الله تعالى، فالتقرب إلى الله مطلوب، ولكن بالألفاظ الصحيحة كالتقرب إلى لله بطلب الدعاء من الرجل الصالح.

والحاصل أن المشركين أرادوا معنى صحيحاً وهو التقرب إلى الله ولكن بلفظ منكر شركي وهو دعاء الصالح وعبادته من دون الله تعالى. ومن هنا حصل الإنكار عليهم. والله تعالى أعلم.

قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢].

كما أن الله تعالى مَنَعَ من الألفاظ الموهمة لما تفضي إليه من باطل قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٤].

وأيضاً: فإن الأحكام في الدنيا مبناها على الظاهر ولا عبرة بالنيات والمقاصد.

ثانياً: أن من أنواع الشرك التي ذكرها أهل العلم الشرك المتعلق بالألفاظ كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا كليبة الدار لأتانا اللصوص، وكالحلف بغير الله، ويدخل فيه كل لفظ يوهم معنى الشَّرِكة أو يدل على ذلك.

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-: ((**ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ**: كالحلف بغيره، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه ﷺ أنه قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» وصححه الحاكم وابن حبان[1]. ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: ((**أجعلتني لله نداً؟ بل قل: ما شاء الله**

(١) كما قال المؤلف: أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٤، ٨٦، ١٢٥)، وأبو داود في كتاب الإيمان، باب: كراهة الحلف بالآباء (٥/٢٥٣) برقم (٣٢٥١) والترمذي في جامعه برقم (١٥٧٤)، وابن حبان (١١٧٧) والطيالسي (١٨٩٦)، والبيهقي في السنن الكبير (١٠/ ٢٩)، والحاكم في المستدرك (١/١٨، ٤/ ٢٩٧). وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وحده)) [١]، هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئةً، كقوله: ﴿**لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ** ٢٨﴾ [سورة التكوير: آية ٢٨]، فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، ومالِيَ إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، أو يقول: والله وحياة فلان، أو يقول: نذراً لله ولفلان، أو أنا تائب لله ولفلان، أو أرجو الله وفلاناً، ونحو ذلك...)) [٢].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- كلام نفيس في رد هذه الشبهة بيَّن من خلاله غَلَطَ تفسير الدعاء بالتوسل كما في تلخيص الاستغاثة للحافظ ابن كثير، حيث يقول -رحمه الله- في رده على البكري: ((وقوله: "من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربة أو استغاث به سواء كان ذلك بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو غيرهما مما هو في معناهما" فهذا القول لم يقله أحد من الأمم، بل هو مما اختلقه هذا المفتري، وإلا فلينقل ذلك عن أحد من الناس، وما زلت أتعجب من هذا القول وكيف يقوله عاقل، والفرق واضح بين السؤال بالشخص والاستغاثة به، وأريد أن أعرف من أين دخل اللبس على هؤلاء الجهال، فإن معرفة المرض وسببه يعين على مداواته وعلاجه، ومن لم يعرف أسباب المقالات وإن كانت باطلة لم يتمكن من

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢١٤، ٢٢٤)، والبيهقي في السنن (٣/ ٢١٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٤)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٦٧).

(٢) الجواب الكافي، لابن القيم (ص: ٩٣).

مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم، فوقع لي أن سبب هذا الضلال الاشتباه عليهم: أنهم عرفوا أن يقال سألت الله بكذا كما في الحديث: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد أنت المنان»[1].

ورأيي أن الاستغاثة تتعدى بنفسها كما يتعدى السؤال كقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٩].

وقوله: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [سورة القصص: الآية ١٥] فظنوا أن قول القائل استغثت بفلان كقوله سألت بفلان والمتوسل إلى الله بغائب، أو ميت تارة يقول: أتوسل إليك بفلان وتارة يقول أسألك بفلان، فإذا قيل ذلك بلفظ الاستغاثة، فإما أن يقول أستغيثك بفلان، أو أستغيث إليك بفلان ومعلوم أن كلا هذين القولين ليس من كلام العرب.

وأصل الشبهة على هذا التقدير: أنهم لم يفرِّقوا بين الباء في استغثت به التي يكون المضاف بها مستغاثاً مدعواً مسؤولاً مطلوباً منه، وبالاستغاثة المحضة من "الإغاثة" التي يكون المضاف بها مطلوباً به لا مطلوباً منه. فإذا قيل: توسلت به أو سألت به أو توجهت به فهي الاستغاثة كما تقول كتبت بالقلم. وهم يقولون: أستغيثه واستغثت به من "الإغاثة" كما يقولون

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٢/ ٧٩ برقم (١٤٩٥)، وأحمد في المسند ٣/ ٢٤٥، والضياء في المختارة ٥/ ٢٥٧ برقم (١٨٨٥)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٦ وقال: رواه الطبراني، وفيه أبان بن عياش، وهو متروك.

استغثت الله واستغثت به من "الغوث".

فالله في كلا الموضعين مسؤول مطلوب منه. وإذا قالوا لمخلوق استغثته واستغثت به من الغوث كان المخلوق مسؤولاً مطلوباً منه، وأما إذا قالوا: استغث به من "الإغاثة" فقد يكون مسؤولاً وقد لا يكون مسؤولاً. وكذلك "استنصرته" و"استنصرت به" فإن المستنصر يكون مسؤولاً مطلوباً، وأما المستنصر به فقد يكون مسؤولاً وقد لا يكون مسؤولاً.

فلفظ "الاستغاثة" في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به.

وقول القائل: استغثت فلانا واستغثت به بمعنى طلبت منه الإغاثة لا بمعنى توسلت به فلا يجوز للإنسان الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

قال في الوجه الرابع: إن التضمين المعروف في اللغة إنما هو ضم معنى لفظ معروف إلى آخر مع بقاء معنى اللفظ الأول كما في قوله: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٤٩] فإنه ضُمِّن معنى "الإذاعة" فعدى بحرف الغاية عن مع أنه فتنة. وكذلك قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [سورة ص: الآية ٢٤] فإنه ضُمِّن معنى "الضم" و"الجمع" فعُدِّي بحرف الغاية مع أن معنى السؤال موجود. كذلك قوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٧٧] ضمَّنه معنى "نجيناه" مع بقاء معنى النصر. وقوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الإنسان: الآية ٦] ضُمِّن معنى "يروي" فعدي بحرف الباء مع بقاء

معنى الشرب. وهكذا إذا قيل: استغثت بالله من "الغوث" فإنه ضُمِّن معنى "الاستغاثة" التي هي من العون فعدي بالباء مع بقاء معنى الاستغاثة وهي طلب من المستغاث به.

فأما إذا قيل: استغثت بفلان من "الغوث" بمعنى سألت غيره به وتوسلت به فهذا لا يجوز، لأنه أحال معنى "الاستغاثة"؛ فإن معناها طلب الإغاثة من المستغاث به، ومعلوم أن المسؤول به والمقسَم به والمتوسَّل به ليس مسؤولاً ولا مطلوباً منه ففيه تبديل معنى اللفظ فلا يجوز ذلك.

وقال في الوجه الخامس: إنه لو قدر أن معنى ذلك معنى التوسل بالأنبياء، فالتوسل بهم الذي جاءت به الشريعة هو التوسل إلى الله بالإيمان بهم وبطاعتهم أو بدعائهم وشفاعتهم كما كان الصحابة يتوسلون بدعاء رسول الله ﷺ في الاستسقاء وغيره كما في حديث الأعمى، وكما يتوسل الخلائق يوم القيامة بشفاعته، وأعظم وسائل الخلائق إلى الله تعالى الإيمان بهم واتباعهم وطاعتهم، فأما التوسل بذواتهم والسؤال بهم بدون دعائهم[١] وشفاعتهم وطاعتهم التي يثيب الله عليها فهذا باطل لا أصل له في شرع ولا عقل)) أ.هـ من تلخيص الاستغاثة للحافظ ابن كثير[٢].

وأما الاستدلال بالأحاديث المتقدمة في جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ فهي استدلال بها في غير مَحَلِّها فإنها في جواز التوسل لا في جواز الاستغاثة وقد

---

(١) أي حصول الدعاء منهم في حياتهم عليهم الصلاة والسلام.
(٢) ص: ١٨٢ ـ ١٨٧.

تقدم الفرق بين الأمرين في كلام شيخ الإسلام المنقول آنفاً.

قلت: ومنهم من يجعل الاستغاثة من باب النداء لا من باب الدعاء فيجوِّز الطلب من الأموات.

ويُقال في دفع هذه الشبهة: أن تغيير الأسماء لا يغيِّر حقائق تلك المسمّيات ولا يزيل أحكامها، إذ العبرة بالحقائق لا بالأسماء.

يقول الشيخ عبد الله أبابطين -رحمه الله تعالى-: ((من جعل شيئاً من العبادة لغير الله فقد عبده واتخذه إلهاً، وإن فرّ من تسميته معبوداً وإلهاً، وسمّى ذلك توسلاً وتشفعاً أو التجاء ونحو ذلك، فالمشرك مشرك شاء أم أبى، فتغيير الاسم لا يغيِّر حقيقة المسمى ولا يزيل حكمه)) أ.هـ[١].

الشبهة الثانية: من الأسباب التي أدت إلى الوقوع في الشرك – ولا سيما الاستغاثة بالنبي ﷺ فيما لا يقدر عليه إلا الله- الاشتباه في معنى العبادة ومعنى كلمة "الإله" حيث فُسرت العبادة بالاعتقاد وفُسِّر معنى الإله بتوحيد الربوبية، ولذلك اعتقدوا أن الشرك هو اعتقاد الفاعلية في غير الله تعالى، ولذا أجازوا الدعاء والطلب من غير الله ما دام أن الداعي والسائل يعتقد أن مقاليدَ الأمور بيد الله تعالى، وأن الفاعل حقيقة هو الله وإنما المدعو والمستغاث به هو مجرّد واسطة بينك وبين الله.

يقول الشيخ عبد الرحمن المعلِّمي[٢] ـ رحمه الله ـ في مطلع كتابه (رفع

---

(١) الانتصار، ص: ٣٣، وانظر: تأسيس التقديس ص: ٥٠، ٦٤، ومنهاج التأسيس ص: ١٠٥.

(٢) هو: عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد العُتْمي المعلمي اليماني ثم المكي، نسبته إلى بلاد عُتمة باليمن، عالم محقق في السنة، كانت ولادته في أواخر سنة (١٣١٢) هـ، ووفاته في أوائل سنة (١٣٨٦)

الاشتباه عن معنى العبادة والإله): ((أما بعد: فإني تدبرت الخلاف المستطير بين الأمة في القرون المتأخرة في شأن الاستغاثة بالصالحين الموتى وتعظيم قبورهم ومشاهدهم، وتعظيم بعض المشايخ الأحياء، وَزَعْم بعض الأمة في كثير من ذلك أنه شرك، وبعضها أنه بدعة، وبعضها أنه من الدين الحق. ورأيت كثيراً من الناس قد وقعوا في تعظيم الكواكب والروحانيين مما يطول شرحه، وهو موجود في كتب التنجيم والتعزيم(١)، كشمس المعارف(٢) وغيرها.

وعَلِمْتُ أن مسلماً من المسلمين لا يَقْدم على ما يعلم أنه شرك ولا تكفير من يعلم أنه غير كافر، ولكنه وقع الاختلاف في حقيقة الشرك، فنظرت في حقيقة الشرك فإذا هو بالاتفاق: اتخاذ غير الله ﷻ إلهاً من دونه، أو عبادة غير الله ﷻ. فانتقل النظر إلى معنى الإله والعبادة فإذا فيه اشتباه شديد، فإن أصح الأقوال في تفسير "إله" قولهم: معبود أو معبود بحق، ومعنى العبادة مشتبه كذلك ـ كما

هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٢).

(١) التعزيم: من العزائم، وهي مطلق الرقى. انظر: لسان العرب (٩/ ١٩٣).

(٢) كتاب "شمس المعارف" لأحمد بن علي البوني، كتاب سحر وشعوذة، وهو مليء بالشرك ـ والعياذ بالله تعالى.

قال الشيخ ابن جبرين ـ حفظه الله ـ : ((هذا الكتاب من كتب الخرافيين، وقد شحنه مؤلفه بالأكاذيب والخرافات الباطلة، وفيه عقائد باطلة يكفر من اعتقدها، وهو أيضاً مليء بأمور السحر والكهانة، وأكثر من يقتنيه هم السحرة وأهل الشعوذة، وقد حصل بسببه مفاسد وأضرار أوقعت جماعات كثيرة في أنواع من الكفريات والضلالة والضرر بالأمة)) [نقلاً عن كتب حذر منها العلماء (١/ ١٢٤) للشيخ مشهور بن حسن آل سلمان].

سنراه إن شاء الله ـ. فعلمت أن ذلك الاشتباه هو سبب الخلاف، وإذاً الخطر أشد مما يُظَنّ، لأن الجهل بمعنى الإله يلزمه الجهل بمعنى كلمة التوحيد؛ "لا إله إلا الله" وهي أساس الإسلام وأساس جميع الشرائع الحقة، قال الله ﷻ: ﴿أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء الآية:٢٥]))[١].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- سبب التعلُّق بالصالحين الموتى والاستغاثة بهم في دفع العوائق فقال: ((ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها كما يدعو الله تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليها ثم يقول إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً.

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك. فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث الله به رسله وهم لا يدخلونه في مسمى التوحيد الذي اصطلحوا عليه))[٢].

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص: ٣١ ـ ٣٢).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

الشبهة الثالثة: وهي استدلالهم بحديث:

١ ـ ((**لو حسَّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه**)):

حاصل الرد: أن هذا الحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ وأظنه من وضع الزنادقة، فإن النبي ﷺ إنما جاء للنهي عن عبادة الأحجار فكيف يأمر بها يناقض أصل بعثته وزبدة رسالته**!!**

وممن حكم عليه بالوضع ابن الديبع في تمييز الطيِّب من الخبيث(١)، وعلى القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة(٢)، وابن تيمية كما في مجموع الفتاوى(٣)، والحافظ ابن حجر العسقلاني كما نقله عنه تلميذه السخاوي في المقاصد الحسنة(٤)، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة(٥).

٢ ـ ((**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور**)) وهو كسابقه حديث مكذوب موضوع لا تجوز نسبته للنبي ﷺ، وهو معارِض لأصل الدين وأساس الملة؛ فإن التعلق بأصحاب القبور ذريعة إلى الشرك وذلك لما يفضي إليه من دعاء الأموات وطلب الحوائج منهم، بل هو أصل الشرك في الأمم السابقة فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– في تفسير قوله تعالى في سورة

---

(١) ص: ١٣٣.
(٢) ص: ٢٨٨ برقم (٣٧٦).
(٣) (٢٤/ ٣٣٥).
(٤) ص: ٣٤٤ عند الحديث رقم (٨٤٤).
(٥) ١/ ٦٤٧ برقم (٤٥٠).

نوح: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾﴾. قال: ((هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح؛ فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتُنُسِّخ العِلْمُ عُبِدَت))(١).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: ((وأصل الشرك في بني آدم كان من الشرك بالبشر: الصالحين المعظَّمِين؛ فإنهم لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم.

فهذا أول شرك كان في بني آدم وكان في قوم نوح؛ فإنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾﴾.

وهذه أسماءُ قومٍ صالحين كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا جعلوا الأصنام على صورهم ثم ذهبت هذه الأصنام لما أغرق الله أهل الأرض ثم صارت إلى العرب كما ذكر ذلك ابن عباس وغيره))(٢).

ويقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في صدد حديثه عن الأسباب التي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٨٧٣ برقم (٤٦٣٦).

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٦٣.

أدت إلى الفتنة بأصحاب القبور: ((ومنها: أحاديث مكذوبة مختلقة وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله ﷺ تناقض دينه وما جاء به، كحديث: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور، وحديث: لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه، وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام وضعها المشركون، وراجت على أشباههم من الجهال الضلال، والله بعث رسوله يقتل من حسَّن ظنه بالأحجار، وجنَّب أمته الفتنة بالقبور من كل طريق كما تقدم)) [١].

وممن حكم بوضع هذا الحديث: غير ابن القيم -رحمه الله- ابن تيمية كما في الاستغاثة في الرد على البكري[٢] وقال: ((هذا مكذوب باتفاق أهل العلم لم يروه عن النبي ﷺ أحد من علماء الحديث)) أ.هـ. وممن حكم عليه بالوضع أيضاً: الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في تيسير العزيز الحميد[٣].

فهذه أقوال أهل العلم في حكم هذا الحديث، وبها يتبين بطلان الاستدلال به على دعاء الأموات والاستغاثة بهم.

٣ ـ حديث عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ أنه قال: ((**إذا أضل أحدكم شيئاً، أو أراد أحدكم عوناً، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله**

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٥).

(٢) ٢/ ٤٨٣.

(٣) ص: ١٩٩.

أغيثوني يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عباداً لا نراهم))[١]:

والرد على استدلالهم بهذا الحديث من جهتين:

الأولى: من جهة الحكم على الحديث، فإن الحديث كما بيَّن الحفاظ أنه ضعيف لا تقوم به حجة رواه الطبراني في المعجم الكبير[٢] وفي إسناده معروف بن حسان قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد[٣] «ضعيف». وقال أبو حاتم في الجرح والتعديل[٤]:«مجهول». وقال ابن عدي في الكامل[٥]: «منكر الحديث».

قلت: وراوي الحديث إذا اجتمعت فيه هذه الأوصاف التي تقدمت في أقوال أهل العلم فإن حديثه ممَّا لا يُحتجُ به لأنه يدور بين الضعف الشديد الذي لا ينجبر وبين الوضع والبطلان.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ بعد أن ذكر أقوال أهل العلم في معروف هذا: «وأقول بل هو باطل –يعني هذا الحديث– إذ كيف يكون عن سعيد عن قتادة ثم يغيب عن أصحاب سعيد الحفاظ الأثبات مثل: يحيى القطان، وإسماعيل بن علية، وأبي أسامة، وخالد بن الحارث، وأبي

---

(١) جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام والتوسل بجاه خير الأنام عليه الصلاة والسلام ص: ٨٩.

(٢) ١٧/١١٧ برقم (٢٩٠).

(٣) ١٠/١٣٢.

(٤) ٥/ ٣٢٢ ترجمة رقم (١٤٩٠).

(٥) ٦/ ٣٢٥ برقم (١٨٠٥).

خالد الأحمر، وسفيان، وشعبة، وعبد الوارث، وابن المبارك، والأنصاري، وغندر، وابن أبي عدي ونحوهم، حتى يأتي به هذا الشيخ المجهول المنكر الحديث؛ فهذا من أقوى الأدلة على وضعه»(١).

الجهة الثانية: على تقدير ثبوته: فإنه لا دليل فيه لأن هذا من دعاء الحاضر فيما يقدر عليه كما جاء في الرواية الأخرى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا. يا عباد الله احبسوا؛ فإن لله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم**))(٢).

يقول ابن سحمان -رحمه الله تعالى- بعد أن ذكر روايات هذا الحديث وحكم على أسانيدها بالضعف-: «على تقدير صحتها فليس فيه إلا نداء الأحياء والطلب منهم ما يقدر هؤلاء الأحياء عليه، وذلك لا يجحده أحد، وأين هذا من الاستغاثة بأصحاب القبور من الأولياء والصالحين....

فإن قيل: إن عباد الله المذكورين غائبون، وأنتم تمنعون من دعاء الأموات

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص: ١٩٧.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٩/ ١٧٧ برقم (٥٢٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢١٧ برقم (١٠٥١٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص: ٤٥٥ ـ ٤٥٦ برقم (٥٠٨) من حديث عبد الله بن مسعود. وإسناده ضعيف لضعف معروف بن حسان كما تقدم.

وأعلّه الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- بعلة أخرى وهي الانقطاع بين عبد الله بن بريدة وابن مسعود نقل ذلك ابن علان في شرح الأذكار ٥/ ١٥٠. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/ ١٠٨ برقم (٦٥٥).

والغائبين؟!

فالجواب: إن عباد الله المذكورين ليسوا بغائبين، وعدم رؤيتهم لا يستلزم غيبتهم، فإنا لا نرى الحفظة، ومع ذلك فهم حاضرون، ولا نرى الجن ومع ذلك فهم حاضرون، وكذلك الشياطين والهواء ونحو ذلك، فإن علة الرؤية ليس هو الوجود فقط، فإن هذا من الأسباب الظاهرة العادية، ولا خلاف بين أهل العلم في جوازها، فلا حجة لهم في هذا الحديث ولا متعلّق لهم فيه بوجه من الوجوه، والله أعلم»[1].

وأجاب الشيخ عبد الله أبا بطين -رحمه الله تعالى- مفتي الديار النجدية عن استدلالهم بهذا الحديث في جواز دعاء الأموات والغائبين فقال:

((وأما الجواب عن الحديث فيمن انفلتت دابته في السفر أن يقول: «يا عباد الله احبسوا» فأجيب بأنه غير صحيح لأنه من رواية معروف بن حسان وهو منكر الحديث قاله ابن عدي.

ومن المعلوم -إن كان صحيحاً- أن النبي ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أن يطلب ردّها وينادي مَنْ لا يسمعه ولا يقدر على ردِّها، بل نقطع أنه إنما أَمَره أن ينادي من يسمعه وله القدرة على ذلك، كما ينادي الإنسان أصحابه الذين معه في سفره ليردوا دابته.

وهذا يدل -إن صحَّ- على أن لله جنوداً يسمعون ويقدرون ﴿وَمَا يَعْلَمُ

(١) كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام ص: ٣٢٥ بتحقيق الشيخ عبد الرحمن السلطان، بحث غير منشور. وانظر: تيسير العزيز الحميد ص: ١٩٧.

﴿جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة المدثر: الآية ٣١] وروي زيادة لفظة في الحديث «فإن لله حاضراً» فهذا صريح في أنه إنما ينادي حاضراً يسمع، فكيف يُستدل بذلك على جواز الاستغاثة بأهل القبور...

فإذا تحققت أن الرسول ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أن ينادي مَنْ لا يسمعه ولا قدرة له على ذلك، وكما دلّ عليه قوله «فإن لله حاضراً» تبيّن لك ضلال من استدلّ به على دعاء الغائبين والأموات الذين لا يسمعون ولا ينفعون، وهل هذا إلا مضادة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يونس: الآية ١٠٦]، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [سورة فاطر: الآية ١٣]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الأحقاف: الآية ٥]، وقال: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الرعد: الآية ١٤].

فهذه الآيات وأضعافها نصٌّ في تضليل من دعا مَنْ لا يسمع دعاءه ولا قدرة له على نفعه ولا ضره، ولو قُدِّر سماعه فإنه عاجز.

فكيف تترك نصوص القرآن الواضحة وتُردُّ بقوله «يا عباد الله احبسوا» مع أنه ليس في ذلك معارضة لما دلّ عليه القرآن ولا شبهة معارضة، ولله

الحمد)) [١] أ.هـ.

ثم مما يبين أن المراد بالحديث ليس الاستغاثة بالموتى والغائبين على -فرض صحته- الرواية الأخرى التي في مسند البزار -من حديث ابن عباس- ولفظها: أن رسول الله ﷺ قال: **((إن لله ﷻ ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة في الأرض لا يقدر فيها على الأعوان فليصيح فليقل: عباد الله أغيثونا أو أعينونا فإنه سَيُعان))** [٢] وفي رواية: **((إن لله ملائكة في الأرض يسمون الحفظة يكتبون ما يقع في الأرض من ورق الشجر، فما أصاب أحداً منكم عرجة أو احتاج إلى عون بفلاة من الأرض فليقل: أعينونا عباد الله رحمكم الله، فإنه يعان إن شاء الله))** [٣].

---

(١) دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث (ص: ٣٦ ـ ٣٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٩١ برقم (٢٩٧٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٢٨ برقم (٧٦٩٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٢ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. وأورده الشوكاني -رحمه الله تعالى- في تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين ص ٢٣٨ ثم قال: وفي الحديث دليل على جواز الاستعانة بمَنْ لا يراهم الإنسان من عباد الله من الملائكة وصالحي الجن، وليس في ذلك بأس كما يجوز للإنسان أن يستعين ببني آدم إذا عثرت دابته أو انفلتت)).
والحديث حسَّن إسناده الحافظ ابن حجر كما في شرح الأذكار لابن علان ٥/ ١٥٠. ورجَّح الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى- وقفه. وهو كما قال. وله حكم الرفع لأنه إخبار عن علم غيبي لا مجال للرأي فيه. والله تعالى أعلم بالصواب. انظر: تعليق الشيخ عبد السلام بن برجس -رحمه الله- على هذا الحديث في تحقيقه رسالة دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث ص: ٣٧.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٢٨ برقم (٧٦٩٧).

وبهذا يُعلم ضعف استنادهم على هذا الحديث في جواز الاستغاثة بالأموات والغائبين.

٤ ـ استدلالهم بحديث الأعمى على دعاء الأموات: حديث الأعمى هو حديث عثمان بن حنيف ﷺ عن النبي ﷺ ولفظه كما في الترمذي[١]: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ((**ادع الله أن يعافيني قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك». قال: فادعه قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة: إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه فيَّ. وفي بعض الروايات: «فشفعه فيَّ وشفعني في نفسي. فرجع، وقد كشف له عن بصره**))[٢].

وهذا الحديث اختلف أهل العلم في صحته، فمنهم من يضعفه والقول بتضعيفه جاء عن صاحب المنار[٣] وصاحب السنن والمبتدعات[٤]. ومن أهل العلم من صححه وممن قال بتصحيحه الإمام الترمذي[٥] وشيخ الإسلام ابن تيمية[٦] والألباني[٧] وجمع من المحققين. ومنهم من توقف في صحته كالعز ابن

(١) سنن الترمذي ٥/ ٥٦٩ برقم (٣٥٧٨).

(٢) أخرجها النسائي في سننه الكبرى ٦/ ١٦٨ حديث رقم (١٠٤٩٤)، والحاكم في المستدرك ١/ ٧٠٧ برقم (١٩٢٩).

(٣) هو: الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله تعالى- صاحب تفسير المنار، ومجلة المنار.

(٤) انظر: السنن والمبتدعات للشيخ محمد عبد السلام خضر ص: ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٥) كما في سننه ٥/ ٥٦٩ برقم (٣٥٧٨).

(٦) انظر: التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: ٩٨.

(٧) انظر: التوسل أنواعه وأحكامه ص: ٧٥.

ابن عبد السلام[١] والإمام الصنعاني[٢]، وصاحب تيسير العزيز الحميد[٣].

ومهما يكن من شيء فإن غاية ما فيه هو توسل الأعمى بدعاء النبي ﷺ حال حياته وليس فيه متمسَّك بجواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد مماته ولا كذلك التوسل به أو بجاهه بعد مماته.

ومما يبين ذلك أن الأعمى قد جاء إلى النبي ﷺ طالباً منه الدعاء فعلَّمه أن يقول: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة.. إلى أن قال: اللهم فشفعه فيَّ وشفعني في نفسي. فالحاصل أن الدعاء وقع من الطرفين مِنْ طرف النبي ﷺ[٤] ومِنْ طرف الأعمى ولذا جاز أن يُقال: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي–أي بدعائك–، فلو كانت الاستغاثة به جائزة لما كان ثمة حاجة

(١) انظر: الرد على البكري ١/ ٣٦٤، وإغاثة اللهفان ١/ ٢١٧ مع تيسير العزيز الحميد ص: ١٩٥.

(٢) انظر: السنن والمبتدعات للشيخ محمد عبد السلام خضر ص: ١٢٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص: ١٩٥.

(٤) وممّا يدل على وقوع الدعاء من النبي ﷺ أن في الدعاء الذي علّمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: «اللهم فشفعه فيَّ» وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ، أو جاهه أو الاستغاثة به. إذ إن المعنى: اللهم اقبل شفاعته ﷺ فيَّ، أي: اقبل دعاءه في أن ترد عليَّ بصري، والشفاعة لغة الدعاء، وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة، وهذا يبيِّن أن الشفاعة أخصُّ من الدعاء، إذ لا تكون إلا إذا كان هناك اثنان يطلبان أمراً، فيكون أحدهما شفيعاً للآخر، بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره. قال في لسان العرب ٨/ ١٨٤: «الشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره... والشافع الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب، يقال: تشفعت بفلان إلى فلان، فشفعني فيه» انتهى. فثبت أن توسل الأعمى إنما كان بدعائه ﷺ لا بذاته. بتصرف يسير من التوسل أنواعه وأحكامه للألباني –رحمه الله تعالى– ص: ٧٩ـ ٨٠.

للمجيء للنبي ﷺ والطلب منه أو الاستغاثة به عنده بل كان يقعد في بيته ويستغيث بالنبي ﷺ بأن يقول مثلاً: يا رسول الله رد عليَّ بصري، أو أسألك أن تشفيَني وتجعلني بصيراً، أو نحو ذلك من الكلام. ولكنه لم يَفْعَل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله وأنها عبادة لا يجوز صرفها لغير الله. فإذاً ليس في هذا الحديث متمسَّك لجواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بل غاية ما فيه جواز التوسل بدعائه ﷺ حال الحياة.

يقول العلامة الألباني -رحمه الله تعالى-: ((أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له، وذلك قوله: «ادعُ الله أن يعافيني» فهو قد توسل إلى الله تعالى بدعائه ﷺ، لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه بأن يقول مثلاً: «اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني، وتجعلني بصيراً». لكنه لم يَفْعَل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمةً يقولها صاحب الحاجة، يذكر فيها اسم الموسَّل به، بل لا بد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة، وطلب الدعاء منه له)) [1]. أ.هـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: ((فهذا الحديث فيه التوسل به إلى الله في الدعاء.

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه ص: ٧٦ ـ ٧٧.

فمن الناس من يقول هذا يقتضي جواز التوسل به مطلقاً حياً وميتاً، وهذا يحتج به من يتوسل بذاته بعد موته وفي مغيبه، ويظن هؤلاء أن توسل الأعمى والصحابة في حياته كان بمعنى الإقسام به على الله، أو بمعنى أنهم سألوا الله بذاته أن يقضي حوائجهم، ويظنون أن التوسل به لا يحتاج إلى أن يدعو هو لهم، ولا إلى أن يطيعوه، فسواء عند هؤلاء دعا الرسول لهم أو لم يدع الجميع عندهم توسل به، وسواء أطاعوه أو لم يطيعوه، ويظنون أن الله تعالى يقضي حاجة هذا الذي توسل به بزعمهم، ولم يدع له الرسول كما يقضي حاجة هذا الذي توسل بدعائه، ودعا له الرسول إذ كلاهما متوسل به عندهم، ويظنون أن كل من سأل الله تعالى بالنبي فقد توسل به كما توسل به ذلك الأعمى، وأن ما أمر به الأعمى مشروع لهم، وقول هؤلاء باطل شرعاً وقدراً، فلا هم موافقون لشرع الله ولا ما يقولونه مطابق لخلق الله .

ومن الناس من يقولون: هذه قضية عين يثبت الحكم في نظائرها التي تشبهها في مناط الحكم لا يثبت الحكم بها فيما هو مخالف لها لا مماثل لها، والفرق ثابت شرعاً وقدراً بين من دعا له النبي ﷺ وبين من لم يدع له، ولا يجوز أن يجعل أحدهما كالآخر .

وهذا الأعمى شفع له النبي ﷺ، فلهذا قال في دعائه: ((**اللهم فشفعه فيَّ**)) فعُلِم أنه شفيع فيه ولفظه: ((**إن شئت صبرت، وإن شئت دعوت لك**)) فقال: ادع لي. فهو طلب من النبي ﷺ أن يدعو له فأمره النبي ﷺ أن يصلي ويدعو هو أيضاً لنفسه، ويقول في دعائه: «اللهم فشفِّعه فيَّ» فدل ذلك على أن معنى قوله: «أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد» أي: بدعائه وشفاعته

كما قال عمر: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا»[١] فالحديثان معناهما واحد، فهو عَلَّم رجلاً أن يتوسل به في حياته كما ذكر عمر أنهم كانوا يتوسلون به إذا أجدبوا، ثم إنهم بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره بدلاً عنه)) أ.هـ[٢].

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد: ((فالحديث سواء كان صحيحاً أو لا وسواء ثبت قوله فيه: يا محمد أو لا. لا يدل على سؤال الغائب، ولا على سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله بوجه من وجوه الدلالات، ومن ادعى ذلك فهو مفترٍ على الله وعلى رسوله ﷺ، لأنه إن كان سأل النبي ﷺ نفسه فهو لم يسأل منه إلا ما يقدر عليه، وهو أن يدعو له، وهذا لا إنكار فيه، وإن كان توجه به من غير سؤال منه نفسه فهو لم يسأل منه وإنما سأل من الله به، سواء كان متوجهاً بدعائه كما هو نص أول الحديث وهو الصحيح، أو كان متوجهاً بذاته على قول ضعيف؛ فإن التوجه بذوات المخلوقين والإقسام بهم على الله بدعة منكرة لم تأت عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه والتابعين لهم بإحسان، ولا الأئمة الأربعة ونحوهم من أئمة الدين. قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به. وقال: أبو يوسف: أكره بحق فلان، وبحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام. وقال القدوري: المسألة بحق

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

المخلوق لا تجوز، فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو أنبيائك ونحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق. واختاره العز بن عبد السلام إلا في حق النبي ﷺ خاصة إن ثبت الحديث - يشير إلى حديث الأعمى، وقد تقدم: أنه على تقدير ثبوته ليس فيه إلا أنه توسل بدعائه لا بذاته))[١] أ.هـ.

إذا ثبت هذا، فلهم شبهة أخرى متعلقة بإحدى زيادات هذا الحديث وهي قوله ﷺ للأعمى «وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك» فيستدلون بها على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ لأمره الأعمى أنْ يَفْعَل مثل ذلك في سائر حاجاته ولا يأتي إلى النبي ﷺ فيطلب منه الدعاء.

وحاصل الرد أن هذه الزيادة أعلَّها شيخ الإسلام في «التوسل والوسيلة»[٢] بتفرد حماد بن سلمة بها، ومخالفته لرواية شعبة، وهو أجلّ من روى هذا الحديث.

قال الألباني: ((وهذا إعلال يتفق مع القواعد الحديثية، ولا يخالفها البتة، وقول الغماري في: «المصباح» (ص: ٣٠) بأن حماداً ثقة من رجال الصحيح، وزيادة الثقة مقبولة، غفلة منه أو تغافل عما تقرر في المصطلح، أن القبول مشروط بما إذا لم يخالف الراوي من هو أوثق منه، قال الحافظ في «نخبة الفكر» : «والزيادة مقبولة ما لم تقع منافية لمن هو أوثق، فإن خولف بأرجح، فالراجح المحفوظ، ومقابله الشاذ».

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص: ١٩٥.

(٢) ص: ٩٩ أو مجموع الفتاوى ١/ ٢٧٥.

قلت: وهذا الشرط مفقود هنا، فإن حماد بن سلمة، وإن كان من رجال مسلم، فهو بلا شك دون شعبة في الحفظ، ويتبين لك ذلك بمراجعة ترجمة الرجلين في كتب القوم، فالأول أورده الذهبي في «الميزان» وهو إنما يورد من تُكلِّم فيه، ووصفه بأنه «ثقة له أوهام» بينما لم يورد فيه شعبة مطلقاً، ويظهر لك الفرق بينهما بالتأمل في ترجمة الحافظ لهما، فقال في «التقريب»: «حماد بن سلمة ثقة عابد أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بآخره» ثم قال: «شعبة بن الحجاج ثقة حافظ متقن، كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال، وذب عن السنة، وكان عابداً».

قلت: إذا تبين لك هذا عرفت أن مخالفة حماد لشعبة في هذا الحديث بزيادته عليه تلك الزيادة غير مقبولة، لأنها منافية لمن هو أوثق منه، فهي زيادة شاذة كما يشير إليه كلام الحافظ السابق في «النخبة» ولعلّ حماداً روى هذا الحديث حين تغيّر حفظه، فوقع في الخطأ، وكأن الإمام أحمد أشار إلى شذوذ هذه الزيادة، فإنه أخرج الحديث من طريق مؤمَّل –وهو ابن إسماعيل– عن حماد عقب رواية شعبة المتقدمة، إلا أنه لم يسق لفظ الحديث، بل أحال به على لفظ حديث شعبة، فقال: «فذكر الحديث» ويحتمل أن الزيادة لم تقع في رواية مؤمل عن حماد، لذلك لم يشر إليها الإمام أحمد كما هي عادة الحفاظ إذا أحالوا في رواية على أخرى بينوا ما في الرواية المحالة من الزيادة على الأولى. وخلاصة القول: إن الزيادة لا تصح لشذوذها، ولو صحت لم تكن دليلاً على على جواز التوسل بذاته ﷺ، لاحتمال أن يكون

معنى قوله: «فافعل مثل ذلك» يعني من إتيانه ﷺ في حال حياته، وطلب الدعاء منه والتوسل به، والتوضؤ والصلاة، والدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ أن يدعو به، والله أعلم))[١].

ثم على تقدير ثبوتها لم يكن فيها حجة، وإنما غايتها أن يكون عثمان بن حنيف رضي الله عنه ظن أن الدعاء يُدعى ببعضه دون بعض، فإنه لم يأمره بالدعاء المشروع بل ببعضه، وظن أن هذا مشروع بعد موته، ولفظ الحديث يناقض ذلك؛ فإن في الحديث أن الأعمى سأل النبي ﷺ أن يدعو له، وأنه عَلَّم الأعمى أن يدعو، وأمره في الدعاء أن يقول: «اللهم فشفعه فيَّ» وإنما يدعى بهذا الدعاء إذا كان النبي ﷺ داعياً شافعاً له بخلاف من لم يكن كذلك، فهذا يناسب شفاعته ودعاءه للناس في محياه في الدنيا ويوم القيامة إذا شفع لهم[٢].

فظهر مما تقدّم أن هذا الحديث لا متمسَّك لهم به في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله أو الاستغاثة بالميت مطلقاً بل ذلك من الشرك الذي لا يُغفر. وقد سدَّ النبي ﷺ باب الشرك بها مطلقاً فنهى عن الاستغاثة به مطلقاً، فقال: «إني لا يُستغاث بي»[٣] مع أن القائلين أرادوا بها معنى صحيحاً وهو الاستغاثة فيما يقدر عليه؛ فإن تخليصهم من هذا المنافق

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه ص: ٩٠ ـ ٩٢.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.
(٣) تقدم تخريجه.

في مقدوره ﷺ، ولكن حتى لا يُعمَّم اللفظ في الجائز وغير الجائز منع منه مطلقاً. وهذا من حمايته ﷺ لجناب التوحيد وسدِّه الطرق المفضية إلى الشرك.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ: ((قوله: «إني لا يُستغاث بي وإنما يستغاث بالله» قال بعضهم فيه التصريح بأنه لا يستغاث بالنبي في الأمور وإنما يستغاث بالله. والظاهر أن مراده ﷺ إرشادهم إلى التأدب مع الله في الألفاظ، لأن استغاثتهم به ﷺ من المنافق من الأمور التي يقدر عليها إما بزجره أو تعزيره ونحو ذلك، فظهر أن المراد بذلك الإرشاد إلى حسن اللفظ والحماية منه ﷺ لجانب التوحيد وتعظيم الله تبارك وتعالى؛ فإذا كان هذا كلامه ﷺ في الاستغاثة به فيما يقدر عليه فكيف بالاستغاثة به أو بغيره في الأمور المهمة التي لا يقدر عليها أحد إلا الله كما هو جار على ألسنة كثير من الشعراء وغيرهم، وقَلَّ مَنْ يعرف أن ذلك منكر فضلاً عن معرفة كونه شركاً)) [١] انتهى كلامه -رحمه الله تعالى-.

الشبهة الرابعة: استدلالهم على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بالحكايات والمنامات والقصص البعيدة الواهيات أو تلك التي حصل فيها المقصود وتحقق فيها المرغوب.

الجواب: أن هذا الدين مبناه على التوقيف، والأحكام تبنى على النصوص الشرعية. أما القصص والمنامات والتجارب فليست بحجة في

(١) تيسير العزيز الحميد ص: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

الشرع لا سيما في أعظم الأمور وهو تبرير الشرك وتجويزه، فليس لأحد أن يعارض الشرع بذوقه أو بما يراه في منامه أو يستدل على جواز فعلٍ حرمه الشرع بمن جرّب فحصل مراده ومقصوده. فلو اعتمدنا ذلك لصار الدين لعبة في أيدي العابثين وساغ لكل مبطلٍ أن يعارض الشرع بقوله وذوقه.

وليس كل من دعا عند قبر أو استغاث بصاحب ذلك القبر فاستجيب دعاؤه كان عمله صالحاً لأن الإجابة قد تكون فتنة وابتلاء، وقد تكون لافتقاره واضطراره، لأنه يدعو الله وغيره.

يقول ابن القيم –رحمه الله–: ((ومنها: حكايات حكيت لهم عن تلك القبور أن فلاناً استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها، وفلاناً دعاه أو دعا به في حاجة فقضيت له. وفلاناً نزل به ضر فاسترجى صاحب ذلك القبر فكشف ضره. وعند السدنة والمقابرية من ذلك شيء كثير يطول ذكره، وهم من أكذب خلق الله تعالى على الأحياء والأموات، والنفوس مولعة بقضاء حوائجها وإزالة ضروراتها ويسمع بأن قبر فلان ترياق مجرب، والشيطان له تلطف في الدعوة فيدعوهم أولاً إلى الدعاء عنده فيدعو العبد بحرقة وانكسار وذلة فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه لا لأجل القبر، فإنه لو دعاه كذلك في الحانة والخمارة والحمام والسوق أجابه فيظن الجاهل أن للقبر تأثيراً في إجابة تلك الدعوة، والله سبحانه يجيب دعوة المضطر ولو كان كافراً.... فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضياً عنه، ولا محباً له، ولا راضياً بفعله، فإنه يجيب البر والفاجر والمؤمن والكافر، وكثير من الناس يدعو دعاء يعتدي فيه، أو يشترط في دعائه أو يكون مما لا يجوز أن

يسأل فيحصل له ذلك أو بعضه فيظن أن عمله صالح مرضي لله ويكون بمنزلة من أملي له وأمد بالمال والبنين وهو يظن أن الله تعالى يسارع له في الخيرات. وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٤٤] فالدعاء قد يكون عبادة فيثاب عليه الداعي، وقد يكون مسألة تقضى به حاجته ويكون مضرة عليه، إما أن يعاقب بما يحصل له، أو تنقص به درجته فيقضي حاجته ويعاقبه على ما جرأ عليه من إضاعة حقوقه واعتداء حدوده.

والمقصود: أن الشيطان بلطف كيده يحسن الدعاء عند القبر وأنه أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات الأسحار، فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به والإقسام على الله به، وهذا أعظم من الذي قبله، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه وقد أنكر أئمة الإسلام ذلك...

فإذا قرر الشيطان عنده أن الإقسام على الله به والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه وأنجع في قضاء حاجته نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله، ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثناً يعكف عليه ويوقد عليه القنديل ويعلق عليه الستور ويبني عليه المسجد ويعبده بالسجود له والطواف به وتقبيله واستلامه والحج إليه والذبح عنده، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيداً ومنسكاً وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم.

قال شيخنا قدس الله روحه: وهذه الأمور المتبدعة عند القبور مراتب

أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس. قال: وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب كما يتمثل لعباد الأصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحياناً، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة، وكذلك السجود للقبر والتمسح به وتقبيله المرتبة الثانية أن يسأل الله عز وجل به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين.

الثالثة: أن يسأله نفسه.

الرابعة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم: قبر فلان ترياق مجرب))[1].

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٥ ـ ٢٢٨.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث فإني أحمد الله كثيراً أن وفقني لإتمامه، فله الشكر أولاً وآخراً، وله الحمد باطناً وظاهراً. لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه.

وبعد، فقمت بإعداد هذا البحث والذي اشتمل على مقدمة وثلاثة مطالب ثم خرجت بنتائج أهمها ما يلي:

١ ـ تطابق الأدلة وتوافرها في تحريم الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى بل هي من الشرك المخرج من الملة.

٢ ـ تهافت الشبهات التي استدل بها المخالفون في تسويغ الاستغاثة بالنبي ﷺ حيث يغلب عليها أنها أحاديث موضوعة أو ضعيفة، وما صح منها حجة عليهم لا لهم.

٣ ـ جهود شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في توضيح هذه المسألة.

٤ ـ كثرة المخالفين في هذه القضية من أهل البدع والحامل لهم على ذلك هو الغلو في شخصه الكريم ﷺ.

٥ ـ حماية النبي ﷺ لجناب التوحيد ونهيه الصريح عن أن يستغاث به ﷺ كما في قوله: ((**إني لا يستغاث بي**)).

المصادر والمراجع

📖 إغاثة اللهفان، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، عام (١٣٩٥)هـ.

📖 الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لنور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القارئ، نشر دار الأمانة، ومؤسسة الرسالة، بيروت، عام (١٣٩١)هـ.

📖 الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، نشر: دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط: الخامسة عشرة (٢٠٠٢) م.

📖 تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، لمحمد بن علي الشوكاني، نشر دار القلم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٩٨٤)م.

📖 تلخيص الاستغاثة في الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية، تلخيص الحافظ ابن كثير الدمشقي، نشر المطبعة السلفية، مصر (١٣٦٤).

📖 تمييز الطيِّب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، لعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع، دار الكتاب العربي، بيروت.

📖 التوسل أنواعه وأحكامه، بحوث للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ألف بينها ونسقها محمد عيد العباسي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة (١٤٠٦)هـ.

📖 التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت عام (١٣٩٠)هـ.

📖 تيسر العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ، تحقيق محمد

أيمن الشبراوي، نشر عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٩)م.
🕮 الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٢٧١)هـ.
🕮 جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام والتوسل بجاه خير الأنام عليه الصلاة والسلام، تأليف: مختار بن أحمد المؤيد العظمي، نشر مطبعة الفيحاء دمشق، الطبعة الأولى عام (١٢٣٠) هـ.
🕮 الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، تحقيق: يوسف علي بدوي، نشر دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ط: الأولى (١٤١٣)هـ.
🕮 دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث «يئس الشيطان من عبادته بجزيرة العرب» وحديث: «يا عباد الله احبسوا» وحديث: عصمة كلمة التوحيد لدم قائلها وماله، تأليف العلامة: عبد الله بن عبد الرحمن البابطين النجدي الحنبلي، تحقيق د. عبد السلام بن برجس بن ناصر العبد الكريم، الطبعة الأولى (١٤٠٦)هـ.
🕮 الرد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، تحقيق د. عبد الله السهيلي، نشر: دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
🕮 رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، تأليف: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، نشر: المكتبة العصرية، بيروت ـ صيدا. ط: الأولى (١٤٢٣)هـ.
🕮 سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة السيئ في الأمة، للشيخ محمد

ناصر الدين الألباني، نشر دار المعارف، الرياض، الطبعة الثانية (١٤٠٨)هـ.

📖 سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الفكر، بيروت.

📖 سنن الترمذي، للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق أحمد شاكر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

📖 السنن والمبتدعات للشيخ محمد عبد السلام خضر، تصحيح: محمد خليل هراس، طبع دار الفكر، بيروت.

📖 شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٠)هـ.

📖 صحيح البخاري، للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، نشر دار الفكر، بيروت عام (١٤١٤)هـ.

📖 صحيح مسلم، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية عام (١٤٠٠)هـ.

📖 الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري، نشر دار صادر، بيروت.

📖 عمل اليوم والليلة، لأحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري المعروف بابن السني، تحقيق كوثر البرني، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.

📖 كتب حذر منها العلماء، تصنيف: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،

نشر: دار الصميعي، الرياض، ط: الأولى (١٤١٥)هـ.

📖 الكامل في ضعفاء الرجال، لعبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني، تحقيق يحيى مختار غزاوي، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، عام (١٤٠٩)هـ.

📖 لسان العرب، لابن منظور، نشر دار صادر، بيروت.

📖 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، نشر دار الكتاب العربي، القاهرة، عام (١٤٠٧)هـ.

📖 مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم النجدي، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام (١٤١٦)هـ.

📖 مسند الإمام أحمد بن حنبل، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٨).

📖 المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١١)هـ.

📖 مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، نشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٩)هـ.

📖معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، تحقيق محمد عبد الله مختار، نشر دار المغني، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٥)هـ.

📖 معجم الطبراني الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، نشر مكتبة الزهراء، الموصل، العراق، الطبعة الثانية (١٤٠٤)هـ.

📖 المعجم الوسيط، إعداد الدكتور إبراهيم أنيس ورفقائه، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

📖 المقاصد الحسنة، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٧)هـ

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

المقدمة ١٥
المطلب الأول: تعريف الاستغاثة لغة واصطلاحاً ١٧
المطلب الثاني : حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ ١٨
المطلب الثالث: الشبهات ٢١
الشبهة الأولى ٢٢
الشبهة الثانية ٢٩
الشبهة الثالثة ٣٢
الشبهة الرابعة ٤٨
الخاتمة ٢١
المصادر والمراجع ٥٣
فهرس الموضوعات ٥٨